

سحب سود في سماء المنطقة

خير الله خير الله
إعلامي لبناني

إلى الآن، يبدو ظاهراً أن إسرائيل و"حزب الله" احترما أصول اللعبة الدائرة بينهما والتي تقوم على حاجة كل منهما إلى الآخر، تماماً مثلما كانت إسرائيل في حاجة إلى الوجود الفلسطيني المسلح في جنوب لبنان في العام 1976.

وقدناك، أعطت الضوء الأخضر، بناء على طلب أميركي وبوساطة أردنية تولاهما الملك حسين، لدخول الجيش السوري إلى لبنان بغية وضع يده على القواعد التي كان فيها "مسلحو منظمة التحرير الفلسطينية" حسب التعبير الذي استخدمه مهندس الدخول هنري كيسينجر.

في اللحظة الأخيرة، وبعدما كان متفقاً أن يشمل الانتشار السوري كل الأراضي اللبنانية، بما في ذلك الجنوب كله، غير رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين رايه ورسم "الخطوط الحمراء" للجيش السوري الذي توجب عليه عدم تجاوز مناطق معينة رسمت حدودها بدقة.

كانت حجة إسرائيل لدى كيسينجر أنها "في حاجة إلى الابتعاد مع الفلسطينيين بين حين وآخر". كانت تريد في الواقع الاستمرار في استخدام ورقة الجنوب اللبناني في إطار لعبة إقليمية أكبر تشمل تبادل الرسائل مع سوريا ومع منظمة التحرير. بعد اجتياح صيف 1982 وخروج القوات الفلسطينية من الجنوب اللبناني، صارت اللعبة في جنوب لبنان محصورة بين سوريا وإسرائيل قبل أن تتحول تدريجياً إلى لعبة إيرانية - إسرائيلية بعد الانسحاب العسكري السوري من لبنان في نيسان - أبريل 2005.

من الآن إلى موعد الانتخابات الإسرائيلية في السابع عشر من الشهر

الجاري، يبدو أن هناك هدوءاً سيسود في جنوب لبنان في المدى المنظور على الرغم من أن السحب السود بدأت تتكسب في سماء المنطقة.

بعد مواجهة يوم الأول من أيلول - سبتمبر الجاري، اعتبر "حزب الله" نفسه منتصراً. أقنع جمهوره بأنه الحق خسائر كبيرة بالإسرائيليين وأنه استطاع الرّد على مقتل اثنين من عناصره، هما حسن زبيب وياسر ضاهر، في بلدة عقربا السورية القريبة من دمشق.

أي مصلحة للبنان في زج نفسه في هذه اللعبة المعقدة التي ربطه بها «حزب الله» فيما مصطلحه المباشرة ومصصلحة مواطنيه في البقاء خارجها؟ لا مصلحة لبنانية بتحول البلد إلى ورقة إيرانية لا أكثر. ولكن هل يمتلك لبنان ما يكفي من المناعة للعودة إلى لغة العقل والمنطق

في المقابل، أبدت إسرائيل ارتياحها إلى عدم سقوط قتلى في صفوف جيشها وتصرف بنيامين نتانياهو بطريقة توحى بأن الحادث كان عارضا وأن الحياة تسير بشكلها المعتاد، أي من دون توترات، في منطقة الحدود اللبنانية - الإسرائيلية. كان يمكن أن تبقى الأمور في إطار حدود ضيقة، حدود قواعد الاشتباك المرسومة، لولا أن ليس في إمكان عزل ما يحصل في جنوب لبنان عن الوضع الإقليمي ككل. وهذا ما

يفترض أن يتنبه إليه كبار المسؤولين اللبنانيين وليس الرئيس سعد الحريري وحده الذي تحدثت باكراً عن أهمية حماية لبنان عن طريق تحويل القرار الرقم 1701 الصادر عن مجلس الأمن في آب - أغسطس من العام 2006 إلى قرار يثبت وقف النار في جنوب لبنان وليس مجرد قرار "يوقف الأعمال العدائية" وكان الفترة بين صيف 2006 و2019 ليست سوى مرحلة هدنة طويلة يستريح خلالها المتحاربون ويعنون أنفسهم لرحلة جديدة.

قبل كل شيء، تكمن خطورة ما يدور حالياً في جنوب لبنان في أن "حزب الله" ولأسباب إيرانية واضحة قرّر الاستغناء عن القرار 1701. وهذا ما فعلته إسرائيل سابقاً متذرة بان الحزب لم يحترم يوماً القرار بدليل وجوده في منطقة عمليات القوة الدولية من جهة والأتفاقيات التي حفرها والتي تربط بين الأراضي اللبنانية والجليل من جهة أخرى. أي أن الحزب يعدّ نفسه لحرب جديدة ليس معروفاً ما الذي يمكن أن تؤدي إليه باستثناء جلب المزيد من الدمار للبنان واللبنانيين ولأهل الجنوب على وجه التحديد.

بحرقة المكشوف للقرار 1701، يعرض "حزب الله" لبنان إلى مخاطر كبيرة في وقت يمرّ البلد بأسوأ أزمة اقتصادية منذ استقلال في العام 1943 وحتى منذ ما قبل الاستقلال. الأخطار من ذلك كله، أن المواجهة بين إيران وإسرائيل أخذت في الاتساع، خصوصاً بعد الضربات التي وجهتها إسرائيل إلى مواقع إيرانية في العراق. هذه المواقع هي شكلاً مواقع لما يسمى "الحشد الشعبي"، أي لميليشيات مذهبية عراقية تابعة لـ "الحرس الثوري" الإيراني الذي لا يجد عبياً في الحلول مكان الجيش العراقي وحتى إنشاء سلاح جو خاص به بغطاء من "الحشد".

ليس العراق وحده هدفاً إسرائيلياً. هناك استهداف إسرائيلي مستمر لمواقع إيرانية في الأراضي السورية وصولاً إلى البوكمال. الأکید أن التركيز الأساسي لإسرائيل على مناطق الجنوب السوري، كما حصل في عقربا أخيراً، لكن الأکید أيضاً أن إسرائيل بدأت تعدّ نفسها لمواجهة واسعة تشمل سوريا والعراق ولبنان في حال إصرار "حزب الله" على زجّ البلد في معركة مدمرة له...

لا يمكن عزل المعطيات الإقليمية التي تتحرك إسرائيل في ظلها عن إدارة أميركية على استعداد لتلبية أي طلب إسرائيلي. مثلما أن إيران تامل بالتخلص من دونالد ترامب في أسرع ما يمكن مراهنة على عجزه عن الحصول على ولاية ثانية، فإن إسرائيل، بقي "بيبي" نتانياهو في موقع رئيس الوزراء أم لم يبق، تعتبر أن هناك فرصة لا تعوز اسمها الإدارة الأميركية الحالية.

لم تتردد هذه الإدارة في نقل السفارة الأميركية إلى القدس في خطوة أقل ما يمكن أن توصف به أنها في غاية الوقاحة. كذلك، وافقت إدارة ترامب على ضم إسرائيل لهضبة الجولان المحتلة منذ العام 1967. في النهاية، ليس لدى الإدارة الأميركية الحالية أي اهتمام بعملية السلام في المنطقة، على الرغم من كل الكلام الجذبي عن طرحها قريباً خطة لا يمكن تشكل أي مساهمة في إيجاد تسوية حقيقية، تحت مسمى "صفقة القرن".

من الآن إلى موعد الانتخابات الرئاسية الأميركية في تشرين الثاني - نوفمبر 2020، سيصعب على إسرائيل تفويت فرصة لن تتكرر في وجود إدارة دونالد ترامب...

أي مصلحة للبنان في زجّ نفسه في هذه اللعبة المعقدة التي ربطه بها "حزب الله" فيما مصطلحه المباشرة ومصصلحة مواطنيه في البقاء خارجها؟



حزب الله وإيران يشعلان الحرائق من كل جانب

مختلفة أخرى في جنوب لبنان، بل في لبنان كله، متى وجدت أن لديها مصلحة في ذلك وما دام الغطاء الأميركي موجوداً بكميات تجارية؛ تبقى إيران نفسها التي لم توفر فرصة لاستعداد الدول العربية وجعلت كل الإخطار تهون أمام خطر الاستعمار السياسي في إثارة الغرائز المذهبية الذي هو العنصر الأساسي في كل سياساتها.

لا مصلحة لبنانية بتحول البلد إلى ورقة إيرانية لا أكثر. ولكن هل يمتلك لبنان ما يكفي من المناعة للعودة إلى لغة العقل والمنطق، لغة موازين القوى التي تعني أول ما تعني أن إيران لا يمكن أن تنتصر على الولايات المتحدة، في حال كان هناك موقف أميركي جذبي منها، نظراً إلى أنها لا تمتلك أي مقومات تمكنها من ذلك... أما إسرائيل، فستكون مستعدة للتصرف بطريقة

ملف إدلب في طريقه إلى الحسم.. والعين على شرق الفرات

رانيا مصطفى

انسحبت ميليشيات النظام من مدينة مورك شمال حماة، بواصر روسية، وتستعد للانسحاب من خان شيخون الواقعة على الطريق الدولي دمشق - حلب، لتحل محلها دوريات مشتركة روسية-تركية، من أجل العودة إلى تطبيق اتفاق سوتشي في ما يتعلق بفتح الطرق الدولية؛ وهذا يظهر حجم التقارب الروسي-التركي بعد زيارة أردوغان إلى موسكو، الأسبوع الماضي. فرضت روسيا على شريكها التركي شروطها وتفسيرها لاتفاق سوتشي للمنطقة العازلة (في سبتمبر 2018) بالقوة النارية، بعد استعادة النظام بدعم روسي لأهم المدن الاستراتيجية الواقعة على الطريق الدولي، وبما قدمته من عروض الطائرات المقاتلة الروسية "سوخوي"، بعد إتمام صفقة الس-400، والبدء بتنفيذها؛ لكن لا يوجد وضوح كامل حول التنسيق الجديد بين الطرفين، لذلك لا تزال الضغوط الروسية مستمرة، عبر استمرار القصف الجوي على طرفي الطريق الدولي أم-5، وبشمل سراقب ومعرة النعمان، والقصف البري على محور الكابنة شمالي اللاذقية، على الطريق الدولي "أم-4".

ترجع الدعم السياسي الغربي، الأميركي والأوروبي، للموقف التركي في ملف إدلب، نتيجة الصمت الأميركي بعد ما حصل من تقارب مع روسيا بوساطة إسرائيلية في اجتماع القدس الأمني الثلاثي. لكن الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، ما زال يهدد الغرب بفتح الحدود أمام مليون لاجئ، إذا لم يقيم الأوروبيون بتقديم الدعم المادي، والدعم السياسي في ملف المنطقة الأمنية شرق الفرات، حيث يقول أردوغان إن تركيا تقوم بإيواء مليون لاجئ سوري. لا تتلقى الأجنحة الروسية والتركية حول ملف شرق الفرات، لكن المصالح تتلقى من حيث تشكل الضغوط على واشنطن، لغابات مختلفة؛ فتركيا تريد فرض شروطها على الولايات المتحدة شرق الفرات، في ما يتعلق بعمق المنطقة، وبدور لها في مراقبتها، وأن تكون منطقة نفوذ تابعة لها على غرار منطقتي غصن الزيتون ودرع الفرات. بينما موسكو تتطلع إلى الاستفادة من ثروات شرق الفرات، ولا تستطيع

مواجهة واشنطن عسكرياً، وقد جربت ذلك، وعوقبت بقتل جنودها في دير الزور، في سبتمبر 2017. عندما اجتازوا النهر شرقاً، وربما تفضل دورا أكبر لأنقرة، التي يسهل التعامل معها بوجود ملفات عالقة بين الطرفين في سوريا، ومع مغريات صفقات التسليح التي تقدمها لتركيا.

تكتفي موسكو في المرحلة الحالية بفتح الطرق الدولية وحماية قواعدها وانتشارها العسكري في الساحل السوري، وتريد إكمال السيطرة على كامل إدلب وريف حلب الغربي، لكنها تؤجله مع وجود تعقيدات إنهاء ملف الجهاديين، خاصة الأجانب منهم، وإخضاع الفصائل لشروط التسوية الروسية-التركية، عبر المشاركة في اجتماعات استانة، وتريد من أنقرة أن

تشارك في حسم ملف هيئة تحرير الشام وبقية الفصائل الجهادية، عبر الاستعانة بفصائل تابعة لها، من الجيش الوطني والجهة الوطنية. ويشكل ملف الجهادية في إدلب عقدة صعبة، ويبدو أن هيئة تحرير الشام هي المستهدفة كخطوة أولى لحسم هذا الملف؛ وتركيا لم تعد راغبة ببقائها في إدلب، وقد استثمرت في سيطرتها على المحافظة، لتأخير تنفيذ اتفاق سوتشي، وفتح الطرق الدولية للروس والنظام، دون أن تتمكن من تحقيق الكثير من المكاسب نتيجة هذا التأخير. بكل الأحوال، لا تستطيع تركيا وحدها تولى حسم ملف الهيئة، خاصة مع عدم وجود اتفاق واضح روسي-تركي، بضمن عدم توغل النظام أثناء قتال الفصائل المعتدلة للهيئة. قد يتولى

الروس والنظام مهمة إنهاء ملف تحرير الشام، لكن كلفة ذلك ستكون عالية، مع احتواء عناصر الهيئة بالمندنيين، ما يستتبع بموجة نزوح كبيرة باتجاه الحدود التركية؛ لذلك سيفضل الأتراك التنسيق مع الروس في هذه المهمة. تتعرض هيئة تحرير الشام لضغوط كبيرة، محلية وإقليمية ودولية، إضافة إلى تصدع في بنيتها الداخلية، ما تسبب في ظهور جناحين داخلها، الأول يريد أن تحل نفسها وتخضع للضغوط والثاني يتشدد في المقاومة، ويرفض حل الهيئة إلا في إطار اندماج مع الفصائل الأخرى. رغم تشدد قيادات الهيئة في رفضها مسألة حل نفسها لصالح فصائل معتدلة، لكن العوامل السابقة تنبئ باقتراب تفككها، وانضمام عناصرها، خاصة المحليين منهم، إلى فصائل إسلامية

معتدلة، في حين أن المتشددين، ومنهم أجانب من خارج سوريا، قد ينضمون إلى الفصائل المرتبطة بتنظيم القاعدة. ملف الجهاديين الأجانب هو الاعتد، خاصة أنهم يتركزون في الجبال، وأعدادهم غير قليلة؛ قد يشارك التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة في إنهاءهم بالقصف الجوي، كما فعلت الولايات المتحدة منذ أسبوع بقصفها مقر قيادات تنظيم حراس الدين. ملف إدلب في طريقه إلى الحسم، وإن كان الأمر يسير ببطء. وهنا تتلقى موسكو وأنقرة في الرغبة بحسم الملف والتفرغ إلى ملفات أخرى؛ فتركيا تريد التفرغ لحسم ملف المنطقة الأمنية لمصلحتها، فيما تريد روسيا التقدم في ملف التسوية والبدء بإعادة الإعمار، وعينها على ثروات شرق الفرات.



العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهونيمدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريفمدير النشر
علي قاسمالمدير الفني
سعيدة يعقوبي

تصدر عن

Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان

Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.ukwww.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk